6

سلسلة الفكر الرسالي

الأمثال القرآنية

عند المرجع المدرسي (دام ظله)

الشيخ محمد حسن آل إبراهيم

سلسلة الفكر الرسالي

الأمثال القرآنية

عند المرجع المدرسي (دام ظله)

الشيخ محمد حسن آل إبراهيم

محفوظة جميع الحقوق

هوية الكتاب:

* الكتاب: الأمثال القرآنية عند المرجع المدرسي (دام ظله).
* المؤلف: الشيخ محمد حسن آل إبراهيم.
* الطبعة: الأولى: ١٤٣٧هـ\٢٠١٦م.
* الناشر: مركز الفكر الرسالي للأبحاث والدراسات.
* التنسيق والإخراج الفني: الكليم للتصميم:

نقال: **+973 36778827**

البريد الإلكتروني: **mohd.he@gmail.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

منذ الستينيات من القرن المنصرم والفكر الرسالي يواصل عطاءآته في ساحة الفكر، وقد ساهم هذا الفكر في طريق نهضة الأمة، من خلال آلياته ومصادره الإسلامية الأصيلة المتمثلة في كتاب الله العزيز، وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام، والعقل المسترشد بهديهم النيّر. وقد تبلور الفكر الرسالي في مدرسة رسالية راسخة في التجربة، واسعة في العطاء، للكثير من الجوانب التي اهتمت بها.

وتحولها إلى مدرسة فكرية رائدة يعني أنها تناولت وعالجت العديد من جوانب الحياة التي تصوغ حياة الإنسان كنظام حياة، فكان لها العطاء في الجوانب الفكرية والسياسية والاجتماعية والعلمية المختلفة.

ولأننا نؤمن بأن الفكر الرسالي قد قدم نظرياته وإسهاماته المعبّرة عن الروح النابضة والناهضة للإسلام ـ الذي أراده الله أن يقود الحياة – فإننا نقوم في هذه السلسلة من الإصدارات (سلسلة الفكر الرسالي)، باستظهار بعض إسهامات الفكر الرسالي وقراءاته، من خلال إسهامات مداد رجالاته، كبعث جديد، أملاً في أن يأخذ الفكر الرسالي موقعه الريادي في حياة الأمة، واكتشاف جوانبه المشرقة.

سلسلة الفكر الرسالي

هذه الدراسة

من الضرورات الحضارية لفهم الدين ثم السعي نحو تطبيقه في واقع الأمة، هو الإرتباط بالقرآن الكريم، إرتباطاً تفاعلياً تتحرك في الواقع قيمه وتعاليمه، وهذه الضرورة تتأتى بالتعامل مع القرآن الكريم كمصدر معرفي جاد، يمكن استنباط القيم منه، ويمكن استيضاح الطريق من خلاله.

ولعل ما يضر بالتعاطي مع القرآن الكريم، هو التعاطي الجامد معه، سواء جمود القارئ وبناء تصوّره عن مهمة القرآن الكريم في الحياة، والإكتفاء بتلاوته والإعتقاد بجانب البركة فيه دون الجوانب الحيوية الأخرى، أو جمود التعاطي العلمي مع علومه، فعلوم القرآن الكريم ليست تعريفات جامدة كما تطرح في بعض البحوث، إنما هي معارف ينبغي أن تسعى البحوث إلى اكتشاف الجانب التوليدي فيها، وقد ارتبطت في روايات أهل البيت عليهم السلام معرفة القرآن الكريم، ومعرفة فقهه

وبصائره، بمعرفة علومه كالمحكم والمتشابه والعام والخاص، ومنها المثل.

فالتعاطي مع أي مفردة من مفردات علوم القرآن ينبغي أن يأخذ بعداً معرفياً وإيضاح موضعيته في توليد المعارف القرآنية، والمثل في القرآن الكريم يتناول على أساس أن مكونات الخطاب القرآني في أساليبه المتنوعة تحتوي فميا تحتويه على الأمثال، فمن خلال التعاطي السليم مع تلك الأمثال التي تزخر بها سور القرآن الكريم، سيتمكّن الباحث من اكتشاف بصائر الوحي بصورة أعمق.

وفي هذه الدراسة التي يقدّمها سماحة الشيخ محمد حسن آل إبراهيم، يبرز فيها الجوانب الحيوية التي تعاطى معها الفكر الرسالي من خلال مؤسسِ بُناه سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، في موضوع الأمثال في القرآن الكريم.

وقد ألقى الضوء على الأمثال القرآنية كفهم حيوي للقرآن الكريم، تبدأ تفاعله المعرفي من خلال معرفة المثل

وحقيقته، ثم تفكيك المعنى المراد في السياق القرآني، ثم تضرب الأمثال لوعي الحكمة، والتي تنزل في الواقع على هيئة تذكرة وموعظة، فالمثل القرآني عند المرجع المدرسي كما تبيّنه الدراسة بمجملها هو مجموعة فكرية أو هو شعار يختزل حشداً متناسقاً من الأفكار، ومنهج فهمه يقوم على اساس أنه أداة معرفية تخاطب وعي الإنسان، تسلط الضوء على واقعه كتذكرة له بالحقائق والسنن، ثم يقوم العقل بربطها بالواقع المعاصر، وهو ما يمكن أن نسميه منهج استلهام البصيرة القرآنية من خلال الأمثال القرآنية.

تمهيد

تقع هذه الدراسة في سياق معرفة المعنى القرآني وكيفية الوصول إليه، واستجلاء المفاهيم القرآنية وفق «نظرية المعنى» لأدبيات الفكر الرّسالي التي شيّدها المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي دام ظله، وفق منهج متميزٍ صافٍ نقي من الشوائب لفهم القرآن الكريم ينهل الرؤى ويستقي البصائر من معين الوحي، ومعدن الرسالة.

وقد كوّنت هذه البصائر والرؤى جل كتب سماحته التي أرساها كأطر منهجية لفكرٍ حضاريٍ مسؤول يتميز بالأصالة والتجديد، وكان في طليعة هذه الكتب وأجلاها بطبيعة الحال المجلدات الموسومة تفسيراً للقرآن الكريم.

وكنموذج تطبيقي يعتبر موضوع «**الأمثال**» أحد المفاهيم القرآنية التي تعكس في تناولها تلك الرؤية وذلك المنهج المثمر في انتاجه المعرفي الزاخر باليقين، والواعد بالنهضة الحضارية،

حيث تشكل الأمثال القرآنية حلقةً مهمةً في منظومة فكرية تقاوم إفرازات الواقع المريض، وتكشف لنا الحقائق وتؤدي دورها في حصول الموعظة والإعتبار اللازمين للفلاح والنجاح.

من جهةٍ أخرى تُعد الأمثال اليوم علماً من علوم القرآن الكريم ومظهراً من مظاهر الإعجاز البلاغي فيه، وتناولها هنا بمثابة محاولة لاستجلاء الأبعاد الأدبية لفضاء هذا التفسيرالغني بالمباحث.

والسؤال التالي: كيف تناول المرجع المدرّسي الأمثال القرآنية في تفسيره؟ كانت الإجابة عليه أوحلحلة أركانه في -الحد الأدنى- الهدف الرئيس لهذه الدراسة.

وقد وجدت معطيات كثيرة تتوزع في أجزاء «تفسير من هدى القرآن» الذي يقع في ١٣ مجلداً مجموعاً مع مجلد الفهارس في نسخته الحديثة «ط ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م»، وكذلك الأجزاء الأربعة من «تفسير بينات من فقه القرآن» وقد صدرمنه حتى كتابة هذه الكلمات عشرة أجزاء كان أولها

عام «١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م».

كما عثرت على إشارات وفوائد بين دفاتها تترائى كأحجار كريمة لامعة تغني الدراسة بالمعطيات من خلال جمع آيات الذكر الحكيم المتضمنة للفظ «المثل» و«الأمثال» وبقية اشتقاقاتها في مجاله التفسيري والبحوث التي طرقها سماحة المرجع المدرّسي دام ظله خلال تدبّره لهذه الآيات، مستقرئاً إياها ومستوحياً منها ما كمن من أفكار على سبيل التحليل.

وقد خلصت من خلال هذه الدراسة إلى نتائج من أهمها:

١- إتسام تحرير المراد من كلمة «مثل» في الفضاء التفسيري للمرجع المدرسي بسمات الإتجاه الإصطلاحي «الأدبي» الذي يؤكد على اعتبار المورد والمضرب، ويعطيهما الأهمية البالغة، وتتشظى اشتراطات هذا الإتجاه وتتمايز فيما بينها كاشتراط الغرابة «الندرة»، أوالسيرورة أو كلاهما معاً فيه -أي المثل-.

٢- يتميز تفسير من هدى القرآن- خلال سبره للدلالة

بالبحث عن الجامع وعدم الركون لمعنى فردي.

٣- دلالة «المثل» قرآنياً تفارق المعنى الإصطلاحي بشقيه «الأدبي التفسيري، والبلاغي» فالقرآن سابق للحدود والتعاريف التي لحقت به، وأمثاله وحي لم يسر به ركب وما لهج به قبل، فاشتراط السيرورة في الأمثال جائزة على غير الوحي.

٤- تنقسم الأمثال القرآنية: لأمثال صريحة وأخرى كامنة، أما المرسلة وماتجري مجرى المثل فهي راجعة لأحد القسمين.

٥- يتخذ المثل عند المرجع المدرسي مرتبة متقدمة في تشكيل الثقافة الاجتماعية وتكوين النظم الفكرية؛ فهو ليس مجرد عبارة مكثفة الدلالة أو رابطٍ ذهنيٍ لحادثة يصل بين الحادثة الثانية والأولى لتتحف السامع، بل هي جزء الحقيقة بل الحقيقة أحياناً، وفي الجملة هي جسرٌ لحقائق كبرى.

٦- الأمثال القرآنية حقائق لااختلاق فيها، تكون

أوضح وأجلى من غيرها، فتكون حجة على الناس، ومرشداً لكُنه الحقائق الكبرى، ومجسدةً للقيم الإلهية، وبهذا تشكل مقارعة للأفكار الجاهلية الغامضة، وتعالج أمراض المجتمع البشري، فمقابل كل شعار جاهلي هنالك شعار رسالي، ففي مقابل:

«إعْلُ هُبَلْ» < «اللهُ أعْلَى وَأَجَلْ»

فالأمثال لها دور فعّال في معادلة التفكير السليم، ومقارعة الفكر السقيم، وذلك من أهم مقاصدها.

الفصل الأول
نظرة عامة حول الأمثال

١-أهمية المثل في الكلام

لا يكاد يخلو حديث بين متحاورين - في الماضي الغابر أو الزمن الحاضر- من التوسل بمقطوعة قصيرة من الكلام تختصر مسافات الفهم وتركز الكلمات في بؤرة يتلألأ فيها المعنى وتلوح خلالها الدلالات؛ فيصيب المتكلم من المستمع مرماه، ويتلقى الآخر من الأول مبتغاه؛ في إيجاز ممتع، وتدليل مقنع؛ ذلك ما يسمى بالمثل فـ«الأمثال قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها، وبلاغتها، التي أعربت بها القرائح السليمة.

والركن البديع إلى دراية اللسان، وغرابة اللسن حيث أوجزت اللفظ، وأشبعت المعنى، وقصرت العبارة، وأطالت المغزى، ولوّحت فأغرقت في التصريح، وكنّت فأغنت عن

الإفصاح»[1].

إن سحر البلاغة غير خفي أثره في النفس وتلوينه الشعور وزخرفتة الوجدان ببديع المعاني ولذيذ البيان ويأتي المثل في طليعة تقنيات الكلام المؤثر في النفس الإنسانية وأكثرها تجسيداً للمعاني بل هي جسر العبور الذهني الأسرع لعالم المحسوس كما ذكر ذلك «أبو السعود / ت عام ٩٨٢ هـ» في تفسيره:

«إن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل...، وقمع سَوْرَة الجامح الأبي، كيف لا، وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازها لها في معرض المحسوسات الجليّة، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المألوف»[2].

ويضيف: إن التمثيل «إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهور، وتحلية المعقول بحلية المحسوس، وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس، لاستمالة الوهم واستنزاله عن

١- راجع أساليب البيان في القرآن ، السيد جعفر السيد باقر الحسيني (ص٦٢٨).
٢- تفسير أبي السعود ج١ ص ٥٠.

معارضته للعقل، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية، وفهم الدقائق الأبية، كي يتابعه فيما يقتضيه، ويشايعه إلى ما لا يرتضيه، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية والكلمات النبوية، وذاعت في عبارات البلغاء، وإشارات الحكماء...»[1].

٢- الأمثال في حيز البحوث القرآنية

اهتم الباحثون في حقول اللغة، والأدب والبلاغة، والتفسير، منذ زمن بعيد بالأمثال العربية على وجه عام والأمثال القرآنية على وجهٍ خاص؛ فبرزت كتب ومصنفات عديدة تناولت الأمثال في القرآن الكريم، وحظيت بجمعها ودراستها وتصنيفها.

«ولقد تناول الأمثال وكتب فيها جهابذة من الأدباء والحكماء والبلاغيين واللغويين والمفسرين في شتى المدارس وفي مختلف العصور فكتب فيها الأصمعي وأبو زيد وأبو عبيدة والنضر بن شميل والمفضل الضبي وابن الأعرابي وأبو القاسم عبيد بن سلام من المتقدمين»[2]، والكثير ممن جاء

١- تفسير أبي السعود ج١ ص ٥٠.

٢- الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، ص ٩.

بعدهم إلى يومنا هذا.

أما الأمثال في القرآن الحكيم فإنها مظهر من مظاهر بلاغته، وسر من أسرار إعجازه، وسحر من دقيق أساليبه، وهو ما أذهل العرب، المؤمن والكافر على حد سواء، وأثر فيهم أي تأثير، فهو المثمر المزهر الذي شغفهم بطلاوته.

و«الأمثال القرآنية تمثل علماً من علوم القرآن الهامة وبحثاً لم يغفله أحد من المفسرين أو البلاغيين أو الكاتبين في علوم القرآن، ولكنهم قل أن يتناولوها بشكل شمولي يبرز الإعجاز الجمالي الفني فيها، مع إصابة المعنى الموضوعي بأتم شكل وأكمل وجه»[1].

٣- أهمية الأمثال في روايات أهل البيت عليهم السلام

«تعد الأمثال القرآنية وسائل إيضاح لما في القرآن الكريم من حقائق،... وهي كذلك أحكام لم ترد على ما ألف أن تجيئ عليه الأحكام من الأمر بالشيئ أو النهي عنه بشكل

١- المصدر السابق، ص ١٠.

مباشر»[1].

ولذلك نجد أن أحاديث أهل البيت عليهم السلام تصرّح في غير موضع بأهمية أمثال القرآن وشأنها في فهم كتاب الله واستلهام أحكامه:

أ- فها هو الإمام الباقر عليه السلام يقول:

«نزل القران أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع سنن وأمثال وربع فرائض واحكام»[2].

ب- وها هو الأصبغ بن نباتة يروي لنا ما سمعه عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

«نزل القران أثلاثاً ثلث فينا وفي عدونا وثلث سنن ومثال وثلث فرائض واحكام»[3].

ج- وفي رواية أخرى يحدّثنا أمير المؤمنين علي عليه السلام موصياً إيانا: «**كتاب ربكم فيكم، مبينا حلاله وحرامه،**

١- المصدر السابق.

٢- جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١ - الصفحة ١١٣.

٣- المصدر السابق.

وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله»[1].

د- وروى لنا إمامنا الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال لقاض: «**هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ ، قال: لا، قال: فهل أشرفت على مراد الله عز وجل في أمثال القرآن؟، قال: لا، قال: إذاً هلكت وأهلكت**»[2].

فالروايات الشريفة الأُول تبين لنا أن الأمثال مكون هام في كتاب الله، كما أن الرواية الأخيرة من كلام أمير البيان علي بن أبي طالب عليه السلام تعتبر الأمثال علماً مستقلاً من علوم القرآن التي يحتاجها الفقيه للتوسل بها لفهم كتاب الله واستنباط أحكامه من خلال الإشراف عليها وفهم مرادها.

٤- أهمية الأمثال في التنزيل:

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ**

١- نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ١ - الصفحة ٢٥.

٢- مستدرك الوسائل - الميرزا النوري - ج ١٧ - الصفحة ٣٤٣.

﴿مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

غني هو القرآن الحكيم بالأمثال وثري بحديثه عن أهميتها، ومقاصدها، ودعوته لتأملها والتفكر فيها، وكأنه يوفر عناء البحث لطلابها ويبرز مقاصدها لمريديها، وإن آية كريمة تعنى بتوجيه أمرٍ للنبي ﷺ بأن يضرب الأمثال للناس تهيئةً لهم لقبول الحق وإيناساً لهم بملامح الحقيقة؛ لكفيلة بطي مقدمات البحث في مثل هذا المجال ، قال تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[2].

وهكذا كانت مهمة الرسول ﷺ مقارعة الجاهلية فكرة بفكرة وقولاً بقول وموقفاً بموقف، ومثلاً بمثل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[3].

وهكذا يتضح لنا أن من أهم الأسس في أي عملية

١- سورة الزمر، الآية : ٢٧.

٢- سورة يس، الآية : ١٣.

٣- سورة الفرقان، الآية : ٣٣.

تعليمية وتربوية هو نصب الأمثلة والتدليل على المعنى المراد بصورة حسية تكون أبلغ من التوجيه المباشر والتلقين المجرد.

ولعل في قصة قابيل وهابيل وبعث الغراب أنموذجاً تعليمياً وتربوياً يعكس تجربة الإنسان الأولى مع الجريمة، و تعلم قابيل من ذلك الطائر كيف يعالج أثر فعلته الشنعاء ويواري جسد أخيه..

قال تعالى : ﴿**فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾[٤].

لقد «قتل أخاه وتورط في الأمر، ماذا يفعل بجسد أخيه.. بهذه العلامة الواضحة لجريمته؟!. وهنا بعث الله غُراباً، يثير الأرض بمنقاره فانهار كبرياء قابيل الكاذب، وتهاوى صرح غروره، وعادت إليه فطرته، وقد خمدت جذوة الغضب السابقة التي كانت قد حجبت عنه عقله، وقال لنفسه: كم أنا عاجز وكم كنت مغروراً بنفسي فهذا الغراب عرَّفني كيف

٤- سورة المائدة، الآية : ٣١.

أدفن جسد أخي!»[1].

وهكذا فإن هذه القصة المركبة من حدثين تكون بمجملها مثلاً عظيماً لمدى جهل الإنسان بعواقب ما يستحدثه من جرم ومشهداً صارخاً لمدى إيلام هذه الجريمة وهي قتل النفس المحترمة لتقول لنا:

«أرأيت كيف قضى قابيل على حياة أخيه، وكيف ندم على فعلته دون أن ينفعه الندم؟، أرأيت كم هي عظيمة ومؤلمة جريمة القتل؟!»[2].

فحين تترادف الأمثال مسوقة لهداية البشر وعظتهم تبلغ أقصى مدى في إتمام الحجة وبلوغ الأمر لغايته، فتنحل الأعذار ويتنجز العقاب للمدبرين عن ساحة الله.

قال تعالى: **﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[3].

١- من هدى القرآن، ج٢، ص: ٢١٧.

٢- من هدى القرآن، ج٢، ص: ٢١٧.

٣- سورة الحشر، الآية: ٢١.

إن الأمثال محلها من الآيات البينات أدوات يتوسل بها لبلوغ التفكر دورته، ونبوغ التذكر لذروته، فالقرآن بما يحتمله من مثلٍ وقصةٍ وحكم يشكل منظومة متكاملة من التذكرة والتبصرة للإنسان في بلورة رؤية كونية بما يحتويه من إعجاز قادر على شفاء النفوس وعلاج العقول مما ران عليها وتلبد بها تماماً كما يتأثر الجبل العظيم بنزول القرآن عليه، وهذا هو المثال الذي يسوقه القرآن الكريم لنا عن مدى تأثير الأمثال وفاعليتها.

الفصل الثاني
حول تفسير المرجع المدرسي للقرآن الكريم:

١ - أهميته:

يحتل فضاء التفسير المدرِّسي للقرآن الكريم مكانة متميزة بين التفاسير، ونقصد به كل من:

١ - تفسير «**من هدى القرآن**».

٢ - تفسير «**بينات من فقه القرآن**»[١].

فقد جذب هذان التفسيران أنظار الباحثين والمفسرين، كما كان له أثر بالغ في مسيرة أجيال من من الطليعة العلمائية الرسالية أثبت من خلالها مكنته في تقديم كتاب الله ككتاب حياة يدير مفاتح التأثير فيها لتكامل الإنسان وتطوره الحضاري.

ومن جميل القراءات فيه – أي في تفسير (من هدى القرآن)– ما قاله المحقق آية الله الشيخ محمد هادي معرفة قدس سره:

١ - صدر حتى طباعة هذه الدراسة من هذا التفسير عشرة أجزاء.

إنه «تفسير تربوي تحليلي شامل، يبحث فيه المؤلف عن الربط الموضوعي بين الواقع المعاش؛ وبين الحقائق الراهنة والدلائل البيّنة التي أبانها القرآن الكريم منذ خمسة عشر قرناً، كمنهج تربوي وأخلاقي، يستهدف وضع الحلول الناجعة لكل مشكلات العصور المختلفة حتى قيام الساعة»[1]، وقد كُتِبت في هذا التفسير عدة دراسات وأطاريح، في نواحي مختلفة.

كما أن للمرجع المدرسي رؤية خاصة في إثبات معاني القرآن الحكيم تتلخص في ثلاثة إثباتات رئيسية لمعنى القرآن: «**اللغة، والسياق، والتفسير المصون**»[2].

وبالنظر لكون القرآن الكريم سابق على كتب اللغة وعلمائها وتحديداتهم من جهة، ولكون اللغويين لم يحيدوا في مقاربة معنى المثل بالإستعانة بالمفسرين الذين تتنوع مشاربهم وتختلف مذاهبهم؛ مما يؤثر في تشكيل النظر للقرآن وتحديد منهجيةٍ لاستنباطِ معانيه، بما يتلائم والمشرب، وما يؤسس لقراءة تفسيرية متناغمة وقناعة المفسر، فقد كان اختيارنا

١- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٤٧٣، الطبعة الاولى، ١٤١٩ هـ.

٢- بحوث في القرآن الحكيم، ص: ٣٣، للمرجع المدرسي دام ظله.

لمنهجية تراعي خصوصية كلام الله وفهم مراداته الإلهية بدقة وأمانة، وتتنزه عما علق في اللغة المعجمية من شوائب وما جنحت إليه من مذاهب.

٢- منهجية المرجع المدرسي في اثبات معاني القرآن

من المناسب هنا أن نعرض منهجيته في إثبات معاني القرآن الكريم، وطريقة تعاطيه مع المفردات اللغوية حيث يدعو سماحته لـ : (الخروج من الفهم التقليدي للألفاظ العربية نحو أفق أسمى، يستشم المعنى الايحائي العام منها).

ويبين أهمية ذلك بقوله:

«وهذا الخروج ضروري لفهم القرآن الحكيم، إذ انه في قمة البلاغة التي تتلخص في رعاية التناسب الشامل بين الموضوع واللفظ، وبين الواقع والتعبير، فيكون كشف المنحنيات التعبيرية والايحاءات اللفظية ذات أهمية خاصة في القرآن أكثر من أي كتاب آخر، لأنها معنية فيه بشكل لايوصف.

يبقى السؤال عن كيفية الخروج؟

والجواب: على الفرد:

١- ان يتجرد أولًا عن موجبات المناخ الفكري الذي يُصور له معنى جامداً للفظ.

٢- ثم الرجوع إلى المادة الأساسية التي تجمع كل التصريفات للكلمة، والتفكير في المعنى المناسب لربط هذه المجموعة باللفظ، فمثلًا نجمع معاني يعرشون؛ عرشاً معروشات، ونعود الى تصريفات اللفظ الأخرى؛ عريش، وعرش وما أشبه.. لنستنبط منها جميعاً معنى البناء الفوقي، لأنه يجمع معاني سرير الملك والبناء المرفوع وسيباط الكرم والخيمة من الخشب، هذه المعاني التي ذكرتها العرب لهذه الألفاظ.

٣- قياس موارد استعمال اللفظ ببعضها، ليعرف المعنى المشترك الذي يمكن أن يتصور جامعاً بين هذه الموارد. ومن الطبيعي أن يعتبر في الاستعمال أن يكون على لسان أهل اللغة المعتنين بالبلاغة»[1].

١- بحوث في القرآن الحكيم، ص: ٣١ - ٣٢.

ظلال الكلمات في مورد الإستعمال

ويتابع المفسر المدرسي قوله : «والأدباء اليوم يكتشفون ظلال الكلمات وإيحاءاتها من موارد الاستعمال في منطق البلغاء أكثر مما يكتشفونها في بطون الكتب اللغوية، وذلك لأن ما في كتب اللغة لا يعدو أن يكون تسجيلًا ميتاً لموارد الاستعمال، أو استنباطاً لمعنى مشترك منها قد قام به مؤلفو الكتب، ومن هنا يكون تعرف الشخص ذاتياً بهذه الموارد واستنباطه بنفسه المعنى الجامع بينها، افضل من تقليد كتب اللغة»[1].

فالكلمات تتوشى ألواناً أخرى غير ألوانها المعجمية إذا ما تدانت عليها أفياء الكلمات الأُخر، كالورقة البيضاء التي ترى في الظل بغير ما ترى به في الحرور.

١ - المصدر السابق.

الفصل الثالث
حول كلمة المثل، معناها، وما يتعلق بها

تأصيل كلمة المَثَلْ:

«ورد لفظ المثل في معظم اللغات السامية، واشتق من جذر متقاربفيما بينها»[1]، «وتتضمن هذه الكلمة في جميع اللغات السامية معنى المماثلة والتشبيه، والموازنة والمقارنة»[2].

وتعتبر اللغات السامية من أكثر اللغات التي يشيع فيها التشبيه والتمثيل، أما اللغة العربية فتحتل منها نصيب الأسد لخصوبتها وثرائها ومحبة الناطقين بها لاستعمالها في التشبيه والتمثيل.

١- «في العربية، مَثَل، في العبرية masal، في الآرامية Matla، في السريانية metala، وفي الحبشية mesl، وفي الأمهرية Masala وMessale، وفي الأكادية meslum، وفي الآشورية masala ».

٢- المثل وما يجري مجراه من ألشكال التعبيرية في كتب ألمثال القديمة عند العرب د.سالم مرعي الهدروسي. قسم اللغة العربية بجامعة اليرموك - الأردن.
من مجلة اللسان العربي : www.al-edu.com
رابط مختصر للمجلة PDF:
http: / /goo.gl /WWPkVX

المثل في اللغة العربية:

معنى مادة «مثل» يتوزع في معاجم اللغة بين هذه المفاهيم التي يختلط فيها المحسوس والمجرد: «التسوية والمماثلة، الشبه والنظير، الحديث، الصفة، الخبر، الحذو، الحجة، الند، العبرة، الآية، المقدار، القالب، نصب الهدف، الفضيلة، التصوير، .... وغيرها»[1].

ويرى بعض الباحثين أن هذا «اضطرابٌ» راجع لمسألة اختلاط المفهوم بمصاديقه مشيراً لمعنى كلي تنضوي تحته، ولنطلع هنا على نموذجين من المعاجم اللغوية:

(المصباح المنير):

(م ث ل) : الْمِثْلُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ بِمَعْنَى الشَّبِيهِ وَبِمَعْنَى نَفْسِ الشَّيْءِ وَذَاتِهِ وَزَائِدَةٍ وَالْجَمْعُ أَمْثَالٌ وَيُوصَفُ بِهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْجَمْعُ فَيُقَالُ هُوَ وَهِيَ وَهُمَا وَهُمْ وَهُنَّ مِثْلُهُ.

وَالْمَثَلُ بِفَتْحَتَيْنِ وَالْمِثِيلُ وِزَانُ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَقِيلَ الْمَكْسُورُ

١- أبو علي، محمد توفيق (١٩٨٨)، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، ص٣٢.

بِمَعْنَى شِبْهٍ وَالْمُفْتُوحُ بِمَعْنَى الْوَصْفِ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا أَيْ وَصْفًا.

وَالْمِثَالُ بِالْكَسْرِ اسْمٌ مِنْ مَاثَلَهُ مُمَاثَلَةً إِذَا شَابَهَهُ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ النَّاسُ الْمِثَالَ بِمَعْنَى الْوَصْفِ وَالصُّورَةِ فَقَالُوا مِثَالُهُ كَذَا أَيْ وَصْفُهُ وَصُورَتُهُ وَالْجَمْعُ أَمْثِلَةٌ»[1].

(معجم المقاييس):

قال أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، في معجم المقاييس: «-مثل- الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظره الشيء للشيء.

وهذا مثل هذا أي نظيره.

والمثل والمثال في معنى واحد.

وربما قالوا مثيل كشبيه.

تقول العرب أمثل السلطان فلانا قتله قودا والمعنى أنه فعل به مثل ما كان فعله.

والمَثل المِثل أيضا كشَبه وشِبه.

١- المصباح المنير/ ٣٧٣ - ٨.

والمثل المضروب مأخوذ من هذا لأنه يذكر مورى به عن مثله في المعنى.

وقولهم مثل به إذا نكّل هو من هذا أيضا لأن المعنى فيه أنه إذا نكل به جعل ذلك مثالا لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه.ويقولون مثَّل بالقتيل جدعه.والمُثلات من هذا أيضا.

قال الله تعالى : ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمُثُلاَتُ﴾[1].

أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله وواحدها مثلة كسمرة وصدقة. ويحتمل أنها التي تنزل بالإنسان فتجعل مثالاً ينزجر به ويرتدع غيره. ومثل الرجل قائماً انتصب والمعنى ذاك لأنه كأنه مثال نصب. وجمع المثال أمثلة»[2].

المثل في الإصطلاح:

حسب تقسيم الباحث د.سالم مرعي الهدروسي فإن:

«هناك اتجاهان رئيسيان في تحديد المراد من دلالة كلمة المثل عند القدماء:

١- سورة الرعد، الآية: ٦.

٢- معجم مقاييس اللغة - ج ٥ - الصفحة ٢٩٧.

١- اتجاه أدبي تفسيري:

يعنى بإبراز جوانب من خصائص المعنى المصطلح عليه، ويؤكد هذا االتجاه على اعتبار المورد والمضرب، والغرابة (الندرة)، والسيرورة فيه...

«وقد ركز أصحاب هذا الاتجاه على السمات الأساسية التي تجعل من المَثَل جنساً أدبياً يتميز عن غيره من أجناس الأدب، كما اهتموا بمواضع استعماله»[١].

«وممن يمثل هذا الاتجاه كل من ابن السكيت (ت٢٤٣هـ)، والمبرد (ت٢٨٥هـ)، والزمخشري (ت٥٣٨هـ)، والرازي (ت٦٠٦هـ)»[٢].

«فقد حدد هؤلاء العلماء أهم ركائز المثل في الاصطلاح الأدبي بإيجاز اللفظ، وكثافة الدلالة، والمضرب، والمورد، والثبات على الحكاية في استعماله وعدم تغييره، ثم السيرورة والانتشار بين الناس من جيل إلى جيل،ومن مكان إلى آخر،

١- د. سالم مرعي الهدروسي/ مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب/ المثل ومايجري مجراه.../ ص١٠٣.

٢- المصدر السابق / ص١٠٤.

وأخيرا عزة المثل وغرابته وندرته»[1].

فالإتجاه الأدبي يعطي لمضرب المثل ومورده أهمية بالغة ويشترط فيه مضافاً لما ذكر: «المورد، والمضرب والنقل على الحكاية وعدم التغيير في الرواية، والسيرورة، والغرابة، إضافة إلى الإيجاز، والتكثيف»[2].

٢- «اتجاه بلاغي بتجاوز ذلك إلى الجوانب البلاغية والتصويرية في المثل، وينظر أعلام هذا الاتجاه إلى المثَل باعتباره حالة خاصة من حالات التمثيل، أي التشبيه أو الاستعارة، أخذ وجه الشبه فيها من أشياء متعددة ومختلفة، أي باعتباره جملة استعارية»[3].

«فإن المثل عندهم حالة خاصة من حالات التمثيل. وهو تشبيه أو استعارة أخذ وجه الشبه فيها من أشياء مختلفة، أي أنه بعبارة أخرى جملة استعارية. فإذا شاع مثل هذا التمثيل

١- د. سالم مرعي الهدروسي/ مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب/ المثل ومايجري مجراه.../ ص١٠٧.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

على الألسنة، سمّي مثلاً»[1].

(فالمثل عند القزويني (ت ٧٣٩هـ) وشراح التلخيص هو التمثيل على سبيل الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقا قال: «ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلا، ولذلك لا تغير الأمثال»)[2].

ويتضح لكل مطلع على تعاريفهم تفاوتها وتعدد اشتراطاتهم، وإضافتهم القيود على معنى المثل، إذ لم يقفوا عند حد التشبيه فزادوا عليه كل حسب ما يراه ضرورياً لتماميته[3].

١- الأمثال العربية القديمة، مع اعتناء بكتاب الأمثال لأبي عبيد، ص٢٦.

٢- القزويني: الإيضاح ٣٠٧، وللمؤلف نفسه: التلخيص: ٣٢٤، وشروح التلخيص ٤/ ١٤٧.

٣- تتعدد التعاريف الإصطلاحية لكلا الإتجاهين، وقد ذكرناها لتنوير ذهن القارئ بمزيد من الفائدة إلا أنا أوردنا المهم منها على سبيل الإلماح للمعنى الإصطلاحي، ولبيان اختلافه عن المعنى القرآني للمثل.

الفصل الرابع
المثل القرآني عند المرجع المدرسي (دام ظله)

يسوق سماحته معانٍ متنوعة ومتجانسة نسبياً للمثل، ويقارب في بعض المواضع المعنى الاصطلاحي عند الإتجاه الأول «الأدبي التفسيري»، ونجد ذلك من خلال تعليقه على الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾[1].

فيقول: المثل: «**كالشبه وهو ما جعل كالعلم على معنى سائر يشبِّه فيه الثاني بالاول**»[2].

أي يشبه فيه مورد المثل «أفراد الحادثة الحالية» بمضرب المثل (أفراد المثل الحقيقيين).

وقد وجدت أقرب التعاريف لهذا المعنى قول (المبرد

١- سورة البقرة، الآية: ١٧.

٢- من هدى القرآن؛ ج١؛ ص١٢١.

(ت٢٨٥هـ): «فقد التفت في تعريفه المثل إلى وجه المشابهة بين الحالين، مع ملاحظة السيرورة، فقال: «هو قول سائل يُشبّه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه،... فحقيقة المثَل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول»[1].

«فالمبرد يقف عند حد التشبيه في المثل، غير أنه يعترف بخاصية أخرى مهمة، وهي أنه: قولٌ سائر»[2].

وقد ألحق سماحته بكلمة الشبه «**ما جُعل كالعَلَم**» فيكون هو المثل الذي أتي به علامة على المعنى المراد إذ «أن معنى كونه عَلَماً كما في المثل العربي المعروف «مواعيد عرقوب» حيث صار عَلَماً لكل ما لا يصح من المواعيد».

ويتابع سماحته فيضيف: «**على معنى سائر**».

وهنا ينبغي الإلفات لمعنى السائر، فقد فسر ابن القيم الجوزية (ت ٧١١ ه) السيرورة بمعنى كثرة الاستعمال يقول: «ومعنى السائر أنه كثر استعماله، واستعماله على أن الثاني بمعنى

١- د. سالم مرعي الهدروسي/ مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب/ المثل ومايجري مجراه.../ ص١٠٤.

٢- الأمثال العربية القديمة، مع اعتناء بكتاب الأمثال لأبي عبيد، ص٢٥.

الأول». وقال أبو هلال العسكري (المتوفى حوالي ٤٠٠ هـ): (وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا»[١].

وفي المعنى القرآني للمثل لايصح اشتراط أن يكون المعنى سائراً أي منتشراً كثير الإستعمال.

إن هذا الإشتراط في التعريف -الذي أورده المرجع المدرسي- يتناسب مع المنحى الإصطلاحي الأدبي في التعريف للأمثال العربية، «وهو المعنى المتبادر الذي يسبق إل الذهن عند إطلاق كلمة الأمثال، وهذا لا يلائم ما نحن فيه من أمثال القرآن، فلا تدخل في تعريفهم ؛ لأن الله ابتدأها وليس لها مورد قبله»[٢].

فالسيرورة «تعني ضمناً أن المثل في سيرورته بين الناس عبر أجيالهم وأزمانهم ومواطنهم أصبح تراثاً شعبيا، من نتاج جماعي عفوي، يصعب على الفرد أن يبدعه قصداً عن سابق نية وتصميم، فهو قول نطق به الكثير من الناس وصاغه أحدهم

١- جمهرة أمثال العرب: ١ / ٥.

٢- أساليب البيان في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني (ص ٦٢٦).

بصورة ذكية مؤثرة»[1].

وهذا المعنى للسيرورة يشكل قيداً لاحقاً لاستعمالات القرآن الكريم لكلمة مثل.

مضافاً لكون الإنتشار ليس من ذاتيات المثل لتدخل في حده وتعريفه، بل هي أمر خارج عنه وهي تنتج من تفاعل المجتمع معه وتداولهم له.

إلا أن يكون المراد من المعنى السائر هو ما من شأنه الإنتشار أو ما يراد له ذلك فيضرب على هذا السبيل، ويؤيد هذا التوجيه قول سماحته : «**وضرب الأمثال إنما جعلها لتسير في البلاد. يقال: ضربت القول مثلًا وأرسلته مثلًا**»[2].

ونحن من خلال استقرائنا لتفسير من هدى القرآن لاحظنا ورود كلمة «المثل» وتنوع معاني هذه المفردة؛ نذكر منها:

١- د. سالم مرعي الهدروسي/ مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب/ المثل ومايجري مجراه.../ ص١٠٥.

٢- من هدى القرآن ؛ ج١ ؛ ص١٦٦.

١-المثل: بمعنى الشبه. وقد مر بيانه. ويرى الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) أن المثل بهذا المعنى يشمل المشابهة في عدة أمور هي: الجوهر، والكيفية، والكمية، والقدر، والمساحة)[١]. وقد استبعد سماحته معنى المشابهة في النسبة الى الباري عز وجل[٢].

٢- المثل: العبرة، قال تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلًا لِلآخِرِينَ**﴾ سلفاً: مثالاً يحتذى بهم، ومثلاً: عبرة لمن يعتبر»[٣].

٣- المثل: (الشعار) المجموعة الفكرية: (.. **كل مجموعة فكرية يعبر عنها بمثل (أو حسب تعبيرنا اليوم بشعار) والأمثلة عند الناس تختزل حشداً متناسقاً من الأفكار، وتعبر عن سلسلة فكرية متشابكة)**[٤].

٤- المُثْلَة: العقوبة: من قوله تعالى:﴿**وَقَدْ خَلَتْ مِن**

١- د. سالم مرعي الهدروسي/ مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب/ المثل ومايجري مجراه.../ ص١٠٥.

٢- انظر مبحث الفرق بين المَثَل والمِثْل.

٣- من هدى القرآن، ج٩، ص: ٥٨.

٤- من هدى القرآن، ج٦، ص: ١٢٤.

﴿قَبْلِهِمُ الْمُثُلَاتُ﴾[1]، «المثلات: العقوبات ومفردها مثلة»[2]. بتقريب أن العقوبات «تزجر عن مثل ما وقعت لأجله وواحدها مثلة كسمرة وصدقة. ويحتمل أنها التي تنزل بالإنسان فتجعل مثالاً ينزجر به ويرتدع غيره. ومثل الرجل قائماً انتصب والمعنى ذاك لأنه كأنه مثال نصب. وجمع المثال أمثلة»[3].

٥-المِثْل: الصفة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]، «أي لا يشابه صفاته وأسماءه أحد، فالكاف بمعنى التشبيه، والمثل بمعنى مجمل الصفات والأسماء»[5].

٦-أمثالكم: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[6]، أي «إلا أمم مثل سائر الأمم البشرية، لها أنظمتها وقوانينها، وسيدها ومسودها»[7]. أي مشابهون لكم من بعض الصفات، أو مساوون لكم من

١- سورة الرعد، الآية: ٦.

٢- من هدى القرآن، ج٤، ص: ١٨٤.

٣- معجم مقاييس اللغة - ج ٥ - الصفحة ٢٩٧.

٤- سورة الشورى، الآية: ١١.

٥- راجع: مفردات غريب القرآن: ص ٤٦٢.

٦- سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

٧- من هدى القرآن، ج٢، ص: ٣٤٣.

حيث الاحتياج للنظام والقانون والقيادة.

٧- المثل: القصة: قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[١]، يعلق سماحته على هذه الآية «قصة المرسلين الثلاثة إلى قرية (أنطاكية) التي جعلت قلب سورة (يس) التي هي بدورها قلب القرآن تتمثل فيها الحقائق»[٢].

تحديد المعنى الجامع المشترك:

يرى بعض الباحثين أن استنباط معنى مشترك لكلمة كثر استعمالها وتشعّبت دلالتها ليست بالعملية الهيّنة إذ تحتاج للكثير من النظر والجهد في استلال الخيط الدقيق الجامع لخرز المعنى إذ «لا شيئ أخطر من تصور سهولة تقرير معاني الكلمات إذا كانت كثيرة التداول على ألسنة الناس»[٣].

وهذا القول يصح فيما إذا كنا بصدد أن نقصر لفظاً ما على معنىً مفرد محدود غير قادر على استيعاب أوجه استعمالات

١- سورة يس، الآية ١٣.

٢- من هدى القرآن، ج٧، ص: ٣٦٤.

٣- نظرية المعنى في النقد العربي ص١٥١، د. مصطفى ناصف.

اللفظ في عدة من المعاني.

ولذلك نرى أن المرجع المدرسي لاحظ تعدد المعاني التي استعملت لكلمة مثل، وجعل السياق وظلال المعنى المرجّح لها في موردها، مع الحفاظ على معنى كلي جامع لها.

فكان مختاره للمعنى الجامع : «**المثل:**

كالشبه وهو ما جعل كالعلم على معنى سائر[1] **يشبِّه فيه الثاني بالأول**»[2].

أي أن مرجع المثل يرجع لأصل الشبه.

فالشبه والتشبيه هو أصل المثل والتمثيل ومنه تتفرع المعاني الأُخر وهوالأرجح في تكوين المعنى الجامع.

ويؤيد ذلك ما صرح به «أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) برجوع مصطلح المثل السائر إلى الشبه»[3]، وقول الراغب

١ – قد ذكرنا وجهاً لقبول هذا القيد، كما فصلنا القول في عدم انطباقه على المثل القرآني.

٢– من هدى القرآن ؛ ج١ ؛ ص١٢١.

٣– الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض (ص ٢٨).

الأصفهاني: «عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة»[1].

الفرق بين المِثْل والمَثَل:

يناقش المرجع المدرسي الفرق بين المَثَل والمِثْل، مفرقاً بين ما يصح نحوياً وما يصح دلالياً إذ يقرر أن لاملازمة بين المعنيين ففي قوله تعالى:

﴿....لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[2].

ويخلص إلى نتيجة أن المِثل هو بمعنى (الصفة) والسمه، وهو ما يعني أن المنفي هو الشبه (القيم والصفات) ويعبر عنها سماحته بالأسماء، وليس المنفي الشبه في (الشكل) ، وكذلك ليس بمعنى (الند) أو (المساوي) فتقول : ليس كنده أو كمساويه شيئ؛ ففي تفسير الآية السابقة يقول:

«نتساءل -والكلام للمرجع المدرسي-: لماذا أضيف كاف التشبيه على (مثل)، في الوقت الذي كان يكفي أن يقال:

١- مفردات غريب القرآن - الراغب الأصفهانى - الصفحة ٤٦٢.

٢-سورة الشورى، الآية : ١١.

ليس مثله شيء؟ هل الكاف هنا زائدة كما قال بعض المفسرين؟ أم أن في المعنى لطفاً بديعاً!. نحن نميل ألا ننسب الزيادة إلى كلام ربنا، وبعبارة أن ما درج عليه النحاة من اعتبار الزيادة قد يصح نحوياً لا دلالياً.

اللهم إلا التي تكون للتأكيد، ولا معنى ظاهر للتأكيد هنا، فنعود ونتساءل: إذا ما معنى الكاف؟. التفت بعض المفسرين إلى معنى المثل الذي يختلف ظلاله عن كلمة (ند) أو شبه ومساوي وشكل، حيث إن ظلال كلمة المثل توحي بجانب القيم والصفات والأسماء، بينما ظلال الند توحي بالتشابه في الجوهر، وظلال (الشبه) توحي بالتماثل في الكيفية، أما كلمة (المساوي) فتوحي بالتشابه في الكمية، وإيحاء (الشكل) هو التماثل في المساحة.

فإذا قلنا: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ**﴾ أي لا يشابه صفاته وأسماءه أحد، فالكاف بمعنى التشبيه، والمثل بمعنى مجمل الصفات والأسماء، والله العالم.﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ فلا يزعم أحد أنه مادام ربنا لا شبيه له ولا كفو فهو بعيد عنا لا يسمع ولا يرى، كلا .. إن تعاليه لا يتنافى وقربه إلى درجة أنه يسمع ما

نقول، ويبصر ما نفعل، فهو رفيع الدرجات وهو أقرب إلينا من حبل الوريد»[1].

ويؤيد هذا القول -كون المِثْل بمعنى المَثَل- ما ذهب إليه (إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت٣٥٠هـ) : المَثَلُ واحدُ الأمثال، والمَثَلُ الوصف، والمَثَلُ بمعنى المِثْل، كما يقال شَبَه وشِبْه).

الخلاصة: أن مَثل ومِثل يرجعان لمعنى واحد وهو الشبه فيرادف المَثَل الشَّبَه، ويرادف المِثل الشِّبْه، وقد تطرقنا لإيرات التفريق لمناسبته للمبحث وجواباً لما يتبادر لذهن القارئ من تساؤل.

وبالرغم من استشعار الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) بوجود فرق ما بين المفردتين إلا أن ذلك لم يصد من بعده أن يقرروا خلافه.

١- من هدى القرآن، ج٨، ٣٥٦.

ضرب المثل:

«ذُكرت لضرب المثل معانٍ عدة، ففي كتب التفسير وحدها بل في قسم منها ما يزيد على عشرة معانٍ هي: التبيين، التمثيل، الوصف، الذكر، الوضع، الإعتمال، الإتخاذ، الإيراد. هذا فضلاً عما ذكره المتحدثون عن هذا الضرب من معانٍ»[1].

وقد قيل بأن ضرب المثل راجع لوقعه في نفس السامع وقرعه للآذان إلا أن ذلك لم ينفرد به المثل وحده فالشعر وقصار الحكم وغيرها يكون لها ذلك أيضاً بل يزيد.

وقد أشار إليه الأستاذ محمد عبده ثم عدل عنه مستدركاً بقوله: «واختير له لفظ (الضرب)؛ لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه؛ ولكن في الكلام قلباً، حيث جعل المثل هو المضروب وإنما هو مضروب به»[2].

١- الأمثال في القرآن الكريم، د.محمد جابر الفياض ص ٦٧.

٢- الأمثال في القرآن الكريم، د.محمد جابر الفياض ص ٧٠.

ف « الاستعمال اللغوي لفعل ضرب يدل على أن المفعول به (المضروب) هو الذي يقع عليه فعل الضارب، وفي جميع مواطن استعمال فعل (ضرب) للمثل نجد أن المفعول به هو المثل»[1].

و اقتران الضرب بالمثل ورد في ٣٠ موضع من القرآن كان فيها المثل (مضروباً) لا (مضروباً به).

وقيل بأن معنى الضرب يختلف باختلاف نوع الضرب، فما اقترن بالتشبيه والتمثيل عد الضرب فيه تشبيهاً وتمثيلاً وما كان خلاف ذلك كان مجرد إيراد أو ذكر وبيان.

معنى (ضرب المثل) عند المرجع المدرسي:

يقول سماحته: «يقال ضربه لأنه يشبه غيره والضرب هو الشبيه»[2].

١- والضرب هنا يكون اسماً لنوع والمراد جعل الشيئين من ضرب واحد ونوع واحد وجعل مجانسة بين مضرب المثل ومورده.

١- التربية بضرب الأمثال لعبدالرحمن النحلاوي.

٢- من هدى القرآن، ج٧، ص: ٤٠٤.

ويتطرق سماحته لمعاني أخرى للضرب فيقول:

٢- «الضرب يقع على جمع الأعمال إلا قليلًا، يقال: ضرب في الأرض وضرب في سبيل الله، وضرب فلان على يد فلان إذا أفسد عليه ما أخذ فيه، وضرب الأمثال إنما جعلها لتسير في البلاد. يقال: ضربت القول مثلاً وارسلته مثلاً»[١].

٣- الضرب بمعنى التبيين: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾[٢] أي بين القرآن كما الرسالات واتباعها مثال عيسى عليه السلام في زهده وخلقه وآياته ليهتدي به العرب إلى رسولهم الكريم، والى أوصيائه الذين يجسدون نهجه»[٣].

ومن خلال ما أوردناه نرى أن كلمة الضرب تتخذ معناها بحسب ورودها في السياق فمثلاً تارة (الضرب) يكون بمعنى (الجعل)، وأخرى بمعنى (التبيين).

وقد ذهب المفسرون في ذلك أنحاء متعددة بعضها مؤيد لما ذُكر.

١- من هدى القرآن؛ ج١؛ ص١٦٦.

٢- سورة الزخرف، الآية: ٥٧.

٣- من هدى القرآن، ج٩، ص: ٦١.

تصريف الأمثال:

إن عنوان «تصريف الأمثال» كمبحث لم يحظَ باهتمام كثير من الباحثين كما حظي عنوان (ضرب المثل) بالاهتمام والتعريف في الدراسات المتعلقة بالأمثال، إلا أن المرجع المدرسي كان ملتفتاً لهذه المفردة القرآنية المهمة، وقد وردت لفظة (صرَّفنا) مقرونة بالمثل في موضعين:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[1]

قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾**[2].

يقول سماحته: «... إنَّ الهدف من تصريف الأمثلة في القران، إنّما هو التذكرة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾[3].

١- سورة الكهف، الآية: ٥٤.

٢- سورة الإسراء، الآية: ٨٩.

٣- سورة الإسراء، الآية: ٤١.

(ويتابع): «...والتصريف يأتي بمعنى التفريق والتفصيل في الآيات وقراءتها على مكث. ولعل أحد معاني التصريف هو بيان المَثَل الحَسَن مقابل الأمثال التي يضربها الناس، فكلما ضرب الناس مثلًا أو أشاعوا قيمةً وثقافةً، بيّن الله المَثَل الأحْسَنَ في تلك الموضوعة التي يبين الناس فيها أمثالهم. وقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾[1]»[2].

تصريف الأمثال ومُضي المثل:

ولدى تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ**﴾[3].

قال: «...﴿**وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ**﴾ قالوا: أي سبق القول في تصريف الأمثال، وبيان عبرة الأولين، كما قال ربنا سبحانه: ﴿**وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَالَ**﴾[4].

١- سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

٢- من هدى القرآن، ج١، ص: ٦٧.

٣- سورة الزخرف، الآية: ٨.

٤- سورة إبراهيم، الآية: ٤٥.

ويحتمل أن يكون المعنى: أنه قد تحقق مثل الأولين، وانتشرت عبرتهم في الآفاق مثلاً، والله العالم»[1].

بين المثل والحكمة:

يرى بعض الباحثين أن كل حكمة مثلاً وليس كل مثل حكمة وهو ماعليه أكثرهم، فأدب الحكمة أعم من أدب الأمثال إذ بينهما عموم وخصوص من وجه.

إلا أن تحديد طبيعة الصلة بين الحكمة والمثل يظل محل نظر، ومنهم من عد الأمثال قسم من الحكمة دون تخصيص (أي أنهما شيئ واحد) ومنهم من عدها أحد قسميها[2].

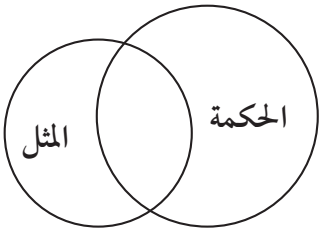

«ومهما تكن الحكمة فهي تفيد معنى واحداً من نهي، أو أمر، أو إرشاد. أما المثل، فيفيد معنيين: معنى ظاهراً، ومعنىً

١ - من هدى القرآن، ج٩، ص: ١٨.

٢ - راجع الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض (ص ١٠٥).

باطناً، أما الظاهر، فهو حدث من أحداث التأريخ أو ما إلى ذلك، وأما الباطن، فمرجعه إلى الحكمة والإرشاد. وهكذا يلتقي المثل والحكمة في المؤدَّى»[1].

أما في القرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالمثل فيه: لبنة من لبنات العلم والحكمة والنور الإلهي.

القرآن الحكيم وبناء الحكمة

تحت عنوان (القرآن الحكيم وبناء الحكمة) يبين لنا سماحته في تفسير من هدى القرآن مم تتألف الحكمة القرآنية فيقول: «ومن مفاتيح أبواب المعرفة القرآنية ما نشير إليه بـ (أدب الحكمة).

الحكمة في الأدب القرآني: لقد بعث الله رسوله إلى الناس ليتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة، فقال سبحانه: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**[2].

١ – أساليب البيان في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني (ص ٦٢٤).

٢– سورة الجمعة، الآية : ٢.

والسؤال ما هي الحكمة؟
أليست معرفة أصول العلم؟.

وخلاصة القول في ذلك؛ إنه إذا كان الكتاب دستورًا، فإن الحكمة شريعة ومنهج للعمل بالكتاب. فجملة القيم الاجتماعية التي بها ينتظم الحكم الصحيح هي، الحكمة .. كالتي نقرأها في سورة الإسراء من حرمة الدم والمال والعرض وما أشبه، وكالتي آتاها الله تعالى لقمان عليه السلام من شكر الله وشكر الوالدين وما أشبه، وكالتي أوحى بها الله تعالى إلى النبي عيسى ابن مريم عليهما السلام في الإنجيل.

إنّ هناك علاقة بين الحُكْم والحكمة، وإنَّ الحُكْم الصحيح -في المتغيرات وفي القضاء بالذات- هي الحكمة، وفي أربعة موارد ذكِرَت فيها مصاديق الحكمة في القرآن، رأينا أن في ثلاثة منها يتحدث السياق عن القيم الأخلاقية، وهي في سور البقرة ولقمان والأحزاب، أما في سورة الإسراء فإن القيم التشريعية أضيفت فيها إلى القيم الأخلاقية.

وهكذا يكون الكتاب تلك البصائر والأحكام الثابتة

التي تعكس سنن الله التي لا تتغير، بينما الحكمة هي القيم العامة والأصول الكلية التي لو عرفها الإنسان عرف كيف يحكم بين الناس في الحوادث الواقعة).[1]

حكاية المثل، وغرابته:

يتركز هذان المبحثان حول الأمثال العربية بمفهومها الإصطلاحي والذي تقدم ذكره ، فـ (حكاية) المثل تعني إيراده في المورد المناسب دون أي تغيير فيه حتى وإن كان في الأصل ملحوناً أو غير مطابق للمورد من حيث التأنيث والتذكير أو الجمع والإفراد.

فالمثل العربي المشهور (الصَّيفَ ضيَّعتِ اللبن) الذي يُضرب فيمن ضيع الفرصة، وفوت الغنيمة. هذا المثل خوطبت به امرَأة وهي دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارة، وكانت زوجة لعمرو بن عُدَاس وهو شيخ كريم، فآثرت طلاقها منه وزواجها بشاب جميل، إلا أنها تبينت من حاله الشح والتقتير، وقد خاطبت نفسها تذكرها تفريطها في بعلها الأول، وتبين

١ – من هدى القرآن، ج١، ص:٨١ – ٨٢.

لها سوء تدبيرها، فقالت: (الصيفَ ضيعت اللبن)[1]، ومضى مثلاً لكل من أضاع الفرصة، وفرط في الغنيمة.

فإذا ضَربْتَ هذا المثل فإنك تجعل لشخوص الحادثة الحالية (مورد المثل) ما لشخوص تلك الحادثة التاريخية باستعارتك تلك العبارة التي فاهت بها صاحبتها، أو تنزيلك الحالين في المشابهة والموافقة منزلاً واحداً وإن كان المقصود بالمثل رجل أو رجال دون أن تتصرف بنصه فتحكيه حكاية.

أما غرابة المثل فقد عدها بعض المفسرين شرطاً فيه كما مر، حيث قال «**وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه**».[2]

كما أن كثيراً من أساطين اللغة قرروا أن المثل لا يكون سائراً إن لم تكن به غرابة ومرادهم من الغرابة : النادر الحادث الطريف المعجِب به.

١ – قيل منصوب على الظرفية أو نزع الخافض ، وقد ورد بصيغة أخرى: (في الصيفِ ضيعتِ اللبن).

٢ – تفسير الرازي – الرازي – ج ٢ – ص٧٣

ولم أقف حال تقصي تفسير من هدى القرآن على إشارات لهذه المفردات، وإنما أوردناها استطراداً وقد مر سابقاً الإشارة لما اشترطه بعض العلماء في المثل.

أنواع الأمثال

الأمثال الصريحة والكامنة

لم نقف على ذكرٍ لتقسيمٍ صريح للأمثال (حسب ظهورها وخفائها) عند المرجع المدرسي إلا أننا ومن خلال تتبعنا نرى أن هذا التقسيم أمرٌ جليٌ من خلال تعامل سماحته مع الأمثال القرآنية فضلاً عن شهرة هذا التقسيم لدى الباحثين في هذا الموضوع، ولذلك يمكننا أن نوردها كالتالي:

١- الأمثال الصريحة:

وهي الأمثال التي ورد التصريح في الآيات بكونها مثلاً وقد عدت هذه الأمثال الصريحة في القرآن الكريم ب ٣٨ مثلاً صريحاً نورد منها أقواله تعالى :

١- ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ

فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

٢- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾[2].

٣- ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[3].

٢- الأمثال الكامنة:

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ونلاحظ أن سماحته يرصد رصداً جيداً ما اذا كان القرآن الكريم في معرض ضرب مثل حيث تندغم بعض الأمثال في سياق الآيات دون أن يسميها القرآن الكريم (مثلاً)، فمثلاً في تفسير بينات من فقه القرآن سورة لقمان الآية [١٨] يقول:

١- سورة آل عمران، الآية : ١١٧.

٢- سورة البقرة، الآية : ١٧.

٣- سورة التحريم، الآية : ١٠.

«ويبدو أن القرآن الكريم هنا قد ضرب مثلًا ثم بيّن قاعدة عامّة. أمّا المثل؛ فهو قوله تعالى: وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً. وهو علامات ظاهرة، ثم عمّ الفكرة وبيّن القاعدة بقوله: ﴿إِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. وعلى هذا؛ فإنّ المشكلة الحقيقيّة، هي مشكلة نفسيّة؛ أعني مشكلة الخيلاء والتكبّر والاستعلاء»[1].

إن تصعير الخد سلوك اجتماعي يكشف لنا عن مشكلة نفسية كنَّى عنها القرآن فأورد لنا جزئاً أو خصيصةً منها ولم يسمها في بدء الكلام وهي الكبر والخيلاء.

(المثل المرسل) أو ما يجري مجرى المثل:

ويقصد بها الحكم التي صارت مثالاً بمر الزمان ومن ذلك الكثير من الآيات القرآنية التي أحصاها المتتبعون كآيات تجري مجرى المثل منها وقد «عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب بابا في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل وأورد من ذلك قوله تعالى :

١ – بينات من فقه القرآن (سورة لقمان)، ص: ١٨٠.

* ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهَّ كَاشِفَةٌ﴾[1].
* ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2].
* ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[3].
* ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾[4].
* ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[5].
* ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[6].
* ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾
* ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[7].
* ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾[8].
* ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[9].
* ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[10].

١- سورة النجم، الآية : ٨٥.
٢- سورة آل عمران، الآية : ٢٩.
٣- سورة يوسف، الآية : ١٥.
٤- سورة يس، الآية : ٨٧.
٥- سورة الحج، الآية : ٠١.
٦- سورة يوسف، الآية : ١٤.
٧- سورة سبأ، الآية : ٤٥.
٨- سورة الأنعام، الآية : ٧٦.
٩- سورة فاطر، الآية : ٣٤.
١٠- سورة الإسراء، الآية : ٤٨.

* ﴿عَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].
* ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2].
* ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾[3].
* ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[4].
* ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[5].
* ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾[6].
* ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾[7].
* ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[8].
* ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[9].
* ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[10].»[11].

١- سورة البقرة، الآية : ٦١٢.
٢- سورة المدثّر، الآية : ٨٣.
٣- سورة المائدة، الآية : ٩٩.
٤- سورة التوبة، الآية : ١٩.
٥- سورة الرحمن، الآية : ٠٦.
٦- سورة البقرة، الآية : ٩٤٢.
٧- سورة يونس، الآية : ١٩.
٨- سورة الحشر، الآية : ٤١.
٩- سورة فاطر، الآية : ٤١.
١٠- سورة المؤمنون، الآية : ٣٥.
١١ - الإتقان في علوم القرآن - السيوطي - ج ٢ - الصفحة ٣٤٨.

وغيرها من المقاطع القرآنية التي ذكرها. والرأي الراجح أن مرد هذا النوع لقسم الأمثال (الكامنة).

الأمثال القصصية في القرآن الكريم

يحدثنا سماحته هاهنا حول القصص التي يوردها القرآن الكريم مفصلة ثم يجعلها مثلاً بذكرها مجملة أو بالإشارة إليها، فيقول: (**يتبع القرآن الحكيم منهجا رائعاً حين يفصل القول في موضوعة هامة ضمن سورة واحدة أو سور شتى، ثم يجمله مشيراً إلى ذلك التفصيل، وهكذا ينبغي أن يتبع المتدبّر منهج النظرة الشمولية الذي أشارت إليه النصوص، بأن يفسر بعض القرآن ببعضه، ويعيد متشابهاته إلى محكماته، ولا يجعل القرآن عضين يأخذ ببعضه ويترك بعضاً**).

قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾[1].

«وهنا يُجْمل القرآن حديثه عن النبي عيسى عليه السلام كما جعله مثلاً يحتذى لبني إسرائيل، كما ضرب مثلاً للعرب

١- سورة الزخرف، الآية: ٥٧.

لعلهم به يهتدون إلى نوع القيادة الذي أمروا باتباعها، لقد رفع الله شأن ابن مريم حين خلقه من غير أب، وجعله يكلم الناس في المهد صبياً، وآتاه الكتاب والحكمة، وجعله مباركاً، ولقد أكرمه الله بالزهد في الدنيا، والخلق الرفيع، وتلك هي قيم الوحي الحق، وليس المال والجاه وما أشبه، وكان يكفي العرب هدىً مثالُ عيسى عليه السلام، فرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورسالة أخيه عيسى عليه السلام واحدة، وزهده في الدنيا، وخلقه العظيم، ومعالم شخصيته، كلها متشابهة ومعالم شخصية ابن مريم»[1].

(مقاصد أمثال القرآن)

تنوعت المقاصد التي من أجلها يضرب الله لنا فيها الأمثال فتارة يكون المثل من أجل الإحتجاج وتارة لخلق مقارنة أوجه الحق والباطل وتارة لتعميق رؤية معنية لموضوع معين، تتظافر فيما بينها لبناء العملية التربوية لهداية البشر، والتي من أجلها نزل القرآن، وهنا نبرز أهمها وهو:

١ – من هدى القرآن، ج٩، ص: ٦٠.

أولاً: دور المثل كجزء من الحقيقة في الإحتجاج

من نافلة القول أن الأمثال في القرآن الكريم حق كلها لا اختلاق (خرافي) فيها بل هي شواهد حق ينبؤنا الله بها ويحتج بها على العباد.

أما الأمثال التي يضربها البشر فقد تكون بلا أصل أو منتزعة من قصة خرافية.

وفي تفسير بينات من فقه القرآن لسورة يس قوله تعالى: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾**[1].

يقرر سماحته بأن : «المثلُ جزء من الحقيقة يكون اوضح من غيره لسبب أو آخر، وعندما يتخذ الإنسان من عظم رميم مثلاً لبيان مدى جهله بكيفية إعادته للحياة، فإنه يزعم أنه قد استوعب شروط المثل، حيث ان العظم آخر مايفنى من الجسد بعد الموت، فإذا أصبح رميماً فماذا يبقى منه؟.

ولكن لماذا نسي نفسه؟ ألم يكن نطفةً فجعله خصيماً مبينا؟

١- سورة يس، الآية : ٧٨.

والقادر على أن يخلق من نطفةٍ خصيماً مثله، أوليس بقادرٍ على أن يعيده؟»[1].

فالإنسان الجاهل يطرح مثالاً بأن يأتي بعظم هش ويفتته أمام الملأ، وينسى أن في نفسه أعظم مثل، ولعل سماحته هنا يشير إلى أوجز مثل في القرآن الكريم.

كما أنه يشير إلى أن طرح المثل يقتضي أن يكون من قبل العالم الذي يستطيع أن يجعل من المثل حجة لاتدحض وقولاً فصلاً يلجم الخصم.

ثانياً: دور المثل في الإرشاد للحقائق الكبرى

وهنا يتحدث سماحته عن توسط الأمثال جسراً للعبور للحقائق التي يرمي إليها الحق سبحانه وتعالى من خلال نصبها كعلامة وإشارة مبيناً معنى الآية الكريمة في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾**[2].

١ – بينات من فقه القرآن، ص٣٣٠.

٢– سورة الروم، الآية: ٥٨.

فيقول : «**يبين القرآن لنا من كل حقيقة في الخلق أو في النفس جزءا لنستدل به على الحقيقة كلها**»[1].

ولأن آيات الله يصدق بعضها بعضاً في علاقة تكاملية فإنها ترسم الصورة الكاملة للحقيقة، وبمعنى آخر فإن جزء الحقيقة يقود لكليِّها، وكذلك الحقائق الجزئية تقود للحقائق الكلية.

إن الأمثلة والأمثال بإيجازها ودقتها وتصويرها تجعل الحقيقة المجردة ماثلة مثولاً حسياً للمتلقي، وقد قرر هذا المعنى سماحته فقال: «كل تجسيد للحقيقة يسمى مثلًا، والقرآن يجسد الحقائق المجردة في أمثلة تاريخية مضت أو حوادث مستقبلية تقع، لكن لماذا، لكي يقرب هذه الحقائق المجردة إلى أذهان الناس وقلوبهم»[2].

ويقول سماحته معلقاً على قوله تعالى: ﴿**وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون**﴾[3]: «فعن طريق تشبيه الشؤون البشرية بالطبيعة المخلوقة قد يصل العقل إلى كنه

١ – من هدى القرآن، ج٧، ص: ٧١.

٢ – من هدى القرآن، ج٥، ص: ٦٧ – ٦٨.

٣– سورة إبراهيم، الآية : ٢٥.

الحقائق»[1].

إذاً فالأمثال القرآنية ماهي إلا حقائق جزئية يضربها الحق سبحانه ليستجلي الإنسان بها الحقائق الكبرى وهذه هي طريقة التفكير السليمة في تأسيس فهم واضح لحقيقة الإنسان والكون والحياة.

ثالثاً: دور الأمثال في تجسيد القيم

إن الله سبحانه وتعالى «ضرب لنا الأمثال، من قصص الأنبياء وأممهم. وهي وقائع خارجية جسدت القيم التي يبشر بها القرآن وهذا المعنى المثل أي التطبيق الخارجي للحقيقة. وَلَقَدْ **﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**[2].

والتعبير **﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾** يدل على أن في القرآن إشارة إلى كل الحقائق، وذلك عبر أمثلة واقعية لها، فأنى تفكرت فيه مما يتصل بالخلق والخالق والصلة بينهما وصلة الخلق ببعضهم وغيرها مذكور في القرآن ومفصل بالأمثلة التي لا تقتصر

١ – من هدى القرآن، ج٤، ص: ٢٤٤.

٢– سورة الروم، الآية : ٥٨.

على حياة الشعوب السابقين بل وتشمل إشارات إلى الطبيعة وأحوالها»[1].

رابعاً: دور الأمثال في مقارعة الثقافة الباطلة وعلاج المجتمع

لقد ركز سماحته على أهمية الأمثال في القرآن الكريم في علاج المجتمعات البشرية من خلال مقارعة الأفكار الجاهلية بالأفكار السليمة فقال: «**ربنا الرحمن شافى بالقرآن أمراض المجتمع البشري المتمثلة في الثقافات الجاهلية. فكلما طرحت فكرة جاهلية غامضة جاء الوحي بالحق المبين**».

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[2].

و يتساءل سماحته حول هذه الآية: ﴿**وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾[3].

ماهو المثل؟ فيجيب:

١ - من هدى القرآن، ج٨، ص: ١٦٣

٢- سورة الفرقان، الآية : ٣٣.

٣- سورة القيامة، الآية : ١٦-١٧.

«يبدو أن كل مجموعة فكرية يعبر عنها بمثل -أو حسب تعبيرنا اليوم بشعار- والأمثلة عند الناس تختزل حشدا متناسقا من الأفكار، وتعبر عن سلسلة فكرية متشابكة».

ولتوضيح ذلك دعنا نضرب مثلاً:

ألف: العشائرية نهج اجتماعي، وقيمة فكرية كان شعارها: (أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وأخي وابن عمي على الغريب). ولكن القرآن يقول: ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**﴾[1].

إن هذا هو الحق يواجه ذلك المثل الشائع.

باء: القومية إطار سياسي يعبر عنه المثل ينفيه القرآن بقوله: ﴿**أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾[2]، وتقابلها العالمية الإسلامية التي يقول عنها الرب: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[3].

جيم: وهكذا عبادة الأصنام منهج سياسي عبر عنه قريش

١- سورة النساء، الآية : ١٣٥.

٢- سورة فصّلت، الآية : ٤٤.

٣- سورة الأنبياء، الآية : ٩٢.

بشعارهم في غزوة أحد: قال أبوسفيان: «اعْلُ هُبَلُ».وقابلها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالحق حيث قال-: «اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ»[1].

وهكذا في سائر الحقول جاء الوحي منجماً لكي يواجه الثقافات الجاهلية مثلًا بمثل أحسن، وفكرة باطلة بحق واضح ذا تفسير حسن بليغ»[2].

خامساً: دور الأمثال في معادلة التفكير السليم

تؤدي الأمثال دوراً فاعلاً في عملية التفكير السليم، ولمعرفة ذلك لابد أن نلحظ الآلية التي تنتج لنا عملية تفكير سليمة عبر (التفكر والتذكر)، ونتيجة تضمن حصول الموعظة اقتضاءً إلى ذلك يستشرف سماحته من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[3].

يستشرف الآلية التي تشكل الأمثال أحد أطرافها وهي:

١- الآيات (العلم).

١- بحارالأنوار: ج ٢٠، ص ٢٣.

٢ - من هدى القرآن، ج٦، ص: ١٢٤.

٣- سورة النور، الآية : ٣٤.

٢- الأمثال (الحكمة).

٣- الموعظة.

ويشرح سماحته ذلك فيقول «إن الآيات المبينات هي التي توضح الطريق للناس، وتجعلهم قريبين من الحقائق، وأسلوب القرآن في تفهيم الحقيقة هو أسلوب التذكرة، وإثارة العقل، بتوجيهه لها، فالحقائق موجودة والإنسان يمتلك ما يكشفها، و لكنه بحاجة إلى من يدله عليها، ويذكره بها، وذلك عن طريق الآيات التي تشير إليها، كالعبر التاريخية ﴿**وَمَثَلًا مِنْ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ لتتعظوا بتجارب الآخرين، وتزدادوا معرفة ورشدا ﴿**وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾ الذين يخافون عقاب الله، أما من لا يخاف عقابه، فإنه لا يستفيد من القرآن، فهو كالأعمى لا يستفيد من نور الشمس..»[1].

وهنا يبين سماحته المعادلة التالية:

$$\text{علم + حكمة} \xleftarrow[\text{اتصال بحياة القارئ (عامل حفاز)}]{} = \text{موعظة}$$

ويشرح سماحته هذه المعادلة بقوله: «..وهكذا القرآن

١ - من هدى القرآن، ج٦، ص: ٥١.

علم وحكمة وموعظة، ففيه آيات تبين سنن الله، مما يزيد البشر علماً، ثم يضرب الأمثال من الأمم الغابرة، مما يزيد البشر حكمة، ثم يوصل ذلك العلم وتلك الحكمة بحياة القارئ مباشرة فيكون موعظة لمن يتعظ»[1].

سادساً: دور الأمثال في واقعية التشريع وصحة المنهج:

يقول سماحته معلقاً على قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً**﴾[2]:

«ومن معاجز القرآن أنه يحدثنا عن كل شيء، ويضرب لنا الأمثلة في كل ناحية، لذلك كان القرآن واقعي التشريع، صحيح المنهج، فواضعه علّام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض»[3].

إن وظيفة الأمثال كما يقرّرها المرجع المدرّسي في النظم

١ – من هدى القرآن، ج٦، ص: ٥١.

٢– سورة الإسراء، الآية : ٨٩.

٣ – من هدى القرآن، ج٤، ص: ٤٨٢.

القرآني أسهمت في إبراز المنهج التشريعي للإسلام كمنهج واقعي يدلّل على صحته وسلامته من خلال ما يعرضه من أمثلة تيسر فهم بصائر الوحي وتعمقها في الوجدان، وتبين نجاعة حلوله ورجحان منطقه في فهم وتسيير شؤون الحياة وحل مشكلاتها.

يقول سماحته: «نجد القرآن يقرِّب لنا الصورة بتشبيه واقعي تستوعبه عقولنا، ويفهمه حتى ذلك البدوي الذي يقطن الصحراء، وهذا من منهج الله في تيسير كتابه المجيد»[1].

(كيف نفهم أمثال القرآن؟)

إن أساسيات الفهم للأمثلة القرآنية عند المرجع المدرّسي تقع في مسار الخطوات المنهجية للتدبّر في القرآن الكريم والتي على أساسها بُني المجال القرآني المُدَرِّسي، والتي أفرد لها سماحته مساحة معتبرة في الجزء الأول من تفسير من هدى القرآن الكريم، وأفردها كذلك في كتاب بحوث في القرآن الحكيم، وذكرها في غيرها من الأبحاث ذات العلاقة.

١ – من هدى القرآن، ج١٠، ص: ١٠٣

ونذكر من هذه الأسس التالي:

١- معرفة مضرب المثل (سبب النزول)

لأن الأمثال خلاصات من حكم وقصص وتجارب وحكايات أو إشارات لها؛ كان لابد لمعرفة العبرة المستفادة منها من الرجوع لموردها وتفاصيله، وفي المثل القرآني الذي هو كلام الله المنزل منجماً يشكل مورد النزول والرواية المتعلقة به، مدخلاً لفهم الآية المتضمنة للمثل.

يقول المرجع المدرسي: «بالنسبة إلى الروايات التي تتحدث عن أسباب النزول فنحن نستطيع أن نستفيد منها في معرفة حدود وطبيعة الآية، وحينئذ يمكننا أن نطبقها على هذا العصر، فسبب النزول لا يعني مطلقاً أن نجمد الآية الكريمة على تلك الظروف والأوضاع التي كانت قائمة.

لنلاحظ الرواية التي تشرح لنا قضية مسجد ضرار الذي أصبح مكانًا تجمع رؤساء المنافقين (الذين زعموا أنّهم يلتزمون بالدين دون أن يلتزموا بإمام الدين وقائده، وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد خسأوا إذْ أنّ النبوة والإمامة جزءان لا يتجزآن من الدين،

وأن من يؤمن بالدين لامناص له من أن يؤمن بأئمته وقادته، وإلّا كانت أعماله مُحبَطَة، وهكذا كان أولئك المنافقون يكفرون بشكل عملي بالدين رأسًا.

وهكذا فإنّ معرفتنا بقصّة مسجد الضرار التاريخية من خلال الروايات تعطينا المزيد من الوضوح لحقيقة هذا المسجد وما يشبهه من مراكز تجمّع المنافقين»[1].

وهنا نرى كيف صار «المثال -المروي-[2] معياراً اختبارياً لصحة الفهم حيث إن الآية لا تنحصر فيه، ولكن لايمكن أن تنحسر عنه، بل لابدّ أن تشمله وأن تصدق عليه. صحيح إنّ الأهم هي (العبرة) التي يتيحها المعنى الكلي. لكن الاعتبار (والتأويل) يقتضي تفاعلًا بين المورد وبين المعنى الكلّي الذي يجري عليه»[3]. وهذا نص عبارة المرجع المدرسي.

٢- الإنتقال من فلسفة القصة إلى فلسفة المثل

يقول سماحته: «فالرواية الصحيحة تشرح لنا مثلًا موقف موسى عليه السلام من فرعون، أو موقف فرعون من

١ - من هدى القرآن، ج١، ص: ١٢١.

٢ - أي قصة المثل.

٣ - من هدى القرآن، ج١، ص: ١٢١.

موسى، أو تبين لنا حياة السامري فتقول إنه كان في البدء صائغاً يملك المال، فهذه الرواية توضح لنا جانباً من فلسفة القصص[1] التي جاءت في الآيات الكريمة.

وفيما يتعلق بالسامري مثلًا فإن الروايات لم تصرِّح بأنه كان رجلًا رأسمالياً، بل تشير إلى أنه كان يمتلك الأموال والذهب والفضة، ومثل هذا الاستنتاج أي كون السامري رأسمالياً علينا أن نقوم به نحن، كما وعلينا أن نستنتج أيضاً أن تياراً رأسمالياً كان سائداً في أيام موسى عليه السلام تمثل في عبادة العجل، والرواية أو الآية الكريمة لا تشيران بوضوح إلى سبب هذه العبادة، وهذا السبب علينا نحن أن نكتشفه، فقد كان من بين بني إسرائيل أصحاب مال وثروة وبالتالي فإنهم كانوا رأسماليين انتهت بهم هذه النزعة الرأسمالية إلى عبادة العجل. صحيح أن هناك أسباب أخرى تذكرها الآية أو الرواية ولكن هناك جانباً يجب أن نصل إليه نحن»[2].

١ - تعتبر القصص القرآنية نوع من الأمثلة حين يشار إليها مجملاً، كقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ سورة يس، الآية : ١٣.

٢ - القرآن حكمة الحياة، ص: ٥١.

الفصل الخامس:
(نماذج من الامثال القرآنية في تفسير من هدى القرآن)

من خلال عرضه للأمثلة أبدع سماحته في استنطاق الأمثال واستنباط حكمتها مستفيداً من سياق الآيات واضعاً إياها في السبيل الذي جاءت له ومحدداً موضوعها وإلى أي حقيقة تنتمي، وفيما يلي نماذج منها:

١- الدورات الطبيعية وعملية التفكير السليم

يقول المرجع المدرسي: «إن للقرآن الحكيم مناهج شتى تساعد على التفكر السليم، وما يشير إليه السياق هنا من أبرزها: أن ننظر إلى الطبيعة ودوراتها السريعة، ونتساءل: أليست هذه هي الدنيا؟! أَوَليست حياة النبات في دورتها السريعة شبيهة بحياة الإنسان في دورة أبطأ قليلا ولكن بالنسق ذاته، يقول عنها ربنا في آية كريمة: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ**

فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً* الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1]؟!.

ويتابع: «لأنها أشياء تشبه تلك النباتات التي تختلط وتلتف ببعضها، وهي زينة يجب أن يستفيد الإنسان منها على هذا الأساس لا أكثر، أما إذا أراد أن يعتمد عليها اعتماداً كلياً فسوف يسقط.

والوردة الجميلة الجذابة ذات العبق الطيب إنما هي زينة، ولا يمكن أن تستند عليها لأنها تقع ولو فعلت ذلك فستقع معها. والمال والبنون هكذا، فبقدر ما تتعب وتحصل على المال وتبني بيتاً تستفيد منه، أو تحصل على بنين يسر قلبك لمرآهم، وترتاح نفسياً بهم، بهذا المقدار سائغ لك، أما أن تغتر بالمال والبنين فهذا خطأ كبير، لأنَّ هذا المال ليس باق وحتى إذا بقي فأنت لا تبقى له، والبنون لا يبقون لك أو لا تبقى معهم، وينتهي دورهم بانتهاء دور الزينة»[2].

١- سورة الكهف، الآية: ٤٥ - ٤٦.

٢- من هدى القرآن، ج٥، ص: ٦٠.

٢- التحولات الطبيعية والأمن الإلهي

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

يستخلص سماحته من الآية السابقة درساً جديداً فيقول: «في هذا الدرس يعطينا السياق رؤية عامة تجاه الحياة الدنيا، ويضرب لنا مثلًا ببعض ما نراه ظاهراً من تحولات طبيعية، كالماء ينزل من السماء ويختلط به نبات الأرض من فواكه تأكلها الناس، وأعشاب تأكلها الأنعام، وتزدهر الأرض وتصبح بهيجة ومزينة، حتى تصور أهل الأرض أنها أصبحت محكومة لهم، وأنهم قادرون عليها، وعلى أنواع التصرف فيها، ولكن لا تبقى هذه الحالة إذ سرعان ما ياتيها أمر الله ليلًا أو نهاراً بعاصفة ثلجية، أو سيول هادرة، فإذا بها تحصد حصداً وكأنها لم تقم هكذا سابقا. هكذا يضرب الله لنا مثلًا، من

١- سورة يونس، الآية: ٢٤.

ظواهر الدنيا التي هي آيات الله التي ينبغي أن نتفكر فيها»[1].

ومن هذه المقدمة يخلص سماحته لهذه الحقيقة فيتابع: «ومادامت الحياة غير مأمونة العواقب، فعلينا أن نفتش عن أمان، والله يدعو إلى ذلك ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، يبلغهم دار السلامة والأمن في الدنيا، وفي الآخرة حيث يضمن للذين أحسنوا الفكر والعمل الحياة الحسنى وزيادة على فعلهم الحسن...»[2].

٢- قبح الشركاء وفطرة التوحيد أمثلة من واقع الحياة الإجتماعية والسياسية:

قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[3].

١ - من هدى القرآن، ج٣، ص: ٣٧٩.

٢ - من هدى القرآن، ج٣، ص: ٣٧٩.

٣- سورة الروم، الآية : ٢٨.

يطرح لنا المرجع المدرسي موضوعاً آخر للأمثلة القرآنية فيقول: «يضرب ربنا سبحانه مثلاً من واقع الجزيرة العربية، حيث كانوا يعيشون نظام السادة والعبيد فيخاطبهم: هل يقبلون أن يشاركهم عبد من عبيدهم ما يملكون فهم وإياه سواء، علماً أنه وما يملك لهم؟!.

إذا كانوا لا يوافقون على هذا الاقتراح. فكيف يجعلون لله أندادا؟!.»[1].

و «من أمثلة القرآن التي تقرب إلى أذهاننا قبح الشركاء اشتراك مجموعة في امتلاك شخص. ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ**﴾ هل يستوي عبد يملكه أكثر من مالك وعبد يملكه رجل واحد؟! كلا.. لأن في الأول كل مالك يريد أن يُجيِّره لحسابه على حساب الآخرين، وقد بين الباري ذلك في قوله: ﴿**وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ**

١ – من هدى القرآن، ج٧، ص: ٣٧

٢– سورة ص، الآية :٢٤.

الله رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

وقال تعالى عن استحالة الأشباه والأضداد: **﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**[2].

وهناك مثال من واقعنا: حيث تعيش بعض الدول المستضعفة في إطار ولاءات مختلفة فتتصارع عليها قوى الشرق والغرب، وقد يجري الصراع على أراضيها وبأيديها، ويكون بالتالي الغرم لها والمكاسب للأسياد. وليست الآلهة التي تعبد من دون الله سوى رموز للقوى السياسية والاجتماعية التي تتصارع على استعباد البشر فتجر إليه الويلات، وما يخلصنا سوى التحرر من عبادتها والتمرد على سلطانها للنجاة من مشاكساتها وحروبها التي تطحننا اليوم طحنا.

﴿وَرَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ كلا .. إن الرجل الذي يقوده شخص واحد باسم الله ولا تتداخل فيه

١- سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

شهوات الآخرين ولا ضغوطهم ولا مصالحهم يعيش دائما في حرية مستقيما في طريق واحد، وتعصف به الاختلافات، ولا تتحكم فيه الفوضى، ولا يواجه مشكلة تعدد الولاءات، إنه لا يخاف الصراعات ولا تنافس القوى عليه، إنه يعيش بعيدا عن أهواء الشياطين وأطماع الحكام.

جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أَنَا السَّلَمُ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَل: ﴿**وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ**﴾»[1].

﴿**الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾؛ فلا يفرقون بين الذي يوحد الله ويخضع فقط لأوليائه ومن تستعبده قوى السلطة والثروة. وهكذا ضرب الله لنا مثلا للتوحيد من واقع الحياة الاجتماعية والسياسية، وميَّز بين نمطين من الحياة، حياة الاستقلال وحياة العبودية، وذلك تكميلا لبيان المفارقات في سورة الزمر» [2].

١- بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٦٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١٦٣.

٣- الأسسة الباطلة للحضارة (بيت العنكبوت):

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

«أوهن العلاقات الاجتماعية، وأوهن الحضارات البشرية هي التي تقوم على أساس باطل، لأن هذه العلاقات والحضارات وإن كانت قوية في الظاهر، إلا إنها ضعيفة في الواقع، لأنها لا تتفق و رسالات الله، وسنن الحياة، وعبر التاريخ، ويرفضها العقل و الفطرة، مما يجعلها عرضة للزوال، لأن من طبيعة الباطل الزوال و الزهوق، تماما كبيت العنكبوت الذي قد يخدع الإنسان بمداخله و مخارجه وهندسته، ولكنه سرعان ما يطير مع هبات الريح، و كذا هو عذاب الله بالنسبة لتلك الحضارات.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا

١- سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

يَعْلَمُونَ﴾ إن من اعتمد على غير الله، فإن حضارته كبيت العنكبوت، و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت؛ فمهما كانت قوة الإنسان وقدرته، فإنها لن تجدي نفعا أمام قدرة الله، بيد أن الضمان الوحيد لاستمرار الطاقات، ونمو الحضارات هو تبلور المفاهيم التوحيدية في الواقع، وأداء واجب الشكر، وحق الطاعة، واقتلاع جذور الشرك والعبودية لغير الله»[1].

٤- الطاغوت لا قوة له إلا في النفوس المريضة

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾**[2].

يقول سماحته في تفسير هذا المثل القرآني: «كما هو ثابت علمياً أن الذباب إذا أكل شيئاً فإنه يتحول بسرعة عبر عدة تفاعلات كيمياوية إلى مواد أخرى تستفيد منها هذه الحشرة، ويستحيل آنئذ إعادتها من جديد، وهكذا يكون عجز البشر

١- من هدى القرآن، ج٦، ص:٢٢٦ - ٤٢٧.

٢- سورة الحج، الآية: ٧٣.

ظاهراً إذ إنهم لا يقدرون على استعادة ما يأخذه الذباب عنهم، إضافة إلى أن حجم الذبابة صغير، بحيث لا تستطيع أدق الآلات أن تستخلص المواد من جوفها، علماً بأن المواد السكرية، والكربوهيدراتية والبروتينية تتكون من مادتين رئيسيتين هي: الأوكسجين والكربون فإذا تحللت هذه المواد في بطن الذبابة إلى موادها الأولية، آنئذ يستحيل على البشر أن يعيد العناصر الأولية إلى مادة.

وأخيراً فالقرآن يؤكد- المرة تلو الأخرى- أن الطاغوت لا قوة له إلا في النفوس المريضة، فقد يضخمه أتباعه حتى يصير عندهم ربهم الأعلى، وقد يقزمونه حتى يصير أحقر من الذبابة»[1].

بينما نجده في تفسير بينات من فقه القرآن يعرض حقيقة أخرى متوافقة مع ما سبق ولكنها صورة أشمل فيعلق على الآية قائلاً: «قد يسلب الذباب راحة الإنسان أو حتى صحته، ولكنه عاجز عن استردادهما منه رغم حقارته في عينه وبالنسبة إلى مكانة البشر»[2].

١ - من هدى القرآن، ج٥، ص: ٤١٩

٢ - بينات من فقه القرآن (سورة الحج)، ص: ٣٠٧.

٥- منهج القرآن بين العلم والأخلاق

حين تمثل البعوضة جانباً من الحق فإن الله يجعلها مثلاً لتبيانه وإن استصغرها الناس، فعليهم أن أن يقفوا أمام جرمها الصغير وقوامها الهش متواضعين متعلمين، وحول ذلك يقول سماحته:

«إن سبب الضلال، هو الفسق، فالفاسق الذي لا يراعي حقوق الآخرين بل يحاول عبادة ذاته، والتطواف حول مصالحه يدور معها أينما دارت، هذا الفاسق هو الوحيد الذي يستكبر، لأنه لا يستطيع أن يرى الآخرين. لا يرى إلا نفسه فقط وكأنها الوحيدة في العالم. فكيف يقدر على الانتفاع بتجارب الآخرين وهو لا يؤمن أساسا بوجودهم.

من هنا يربط منهج القرآن في العلم بين طائفة من الأخلاق وبين العلم حسبما نشرحها في الآية التالية.

أما هذه الآية فتقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾ فمادام الله يحترم البعوضة ولا يستحي أن يضرب مثلا بها، لأنها تمثل جانبا من الحق، والله لا يستحي من الحق. فمادام الله ربنا لا يستحي من ذلك، فلماذا نستكبر- نحن

البشر- على الاستفادة من البعوضة فما فوقها؟

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لأنهم آمنوا، ولأنهم يقدسون الحق أنى وجدوه حتى لو وجدوه في البعوضة الصغيرة ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ وكأنهم يستهزئون بالبعوضة ويستصغرون شأنها، يقول الله: كلا إن هذه البعوضة يمكن أن تكون موضع ابتلاء فتشكل خطّاً فاصلا بين طائفتين كبيرتين من الناس ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ الذين يؤمنون يستفيدون من البعوضة لأنهم يقدرون الحق ويقدسونه. وأما الكافرون يستكبرون فيتوغلون في الكفر. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[1].

محمد حسن آل إبراهيم
٢٥/ ٥/ ٢٠١٥م
٥/ شعبان/ ١٤٣٦هـ

١ - من هدى القرآن، ج١، ص: ١٦٨.

الفهرس

مقدمة ٥

هذه الدراسة ٧

تمهيد ١١

الفصل الأول

نظرة عامة حول الأمثال

١-أهمية المثل في الكلام ١٧

٢- الأمثال في حيز البحوث القرآنية ١٩

٣- أهمية الأمثال في روايات أهل البيت عليهم السلام ٢٠

٤- أهمية الأمثال في التنزيل ٢٢

الفصل الثاني

حول تفسير المرجع المدرسي للقرآن الكريم

١- أهميته ٢٧

٢- منهجية المرجع المدرسي في اثبات معاني القرآن ٢٩

ظلال الكلمات في مورد الإستعمال ٣١

الفصل الثالث
حول كلمة المثل، معناها، وما يتعلق بها

تأصيل كلمة المَثَلْ ٣٣
المثل في اللغة العربية: ٣٤
المثل في الإصطلاح: ٣٦

الفصل الرابع
المثل القرآني عند المرجع المدرسي (دام ظله)

تحديد المعنى الجامع المشترك: ٤٧
الفرق بين المِثْل والمَثَل: ٤٩
ضرب المثل: ٥٢
معنى (ضرب المثل) عند المرجع المدرسي: ٥٣
تصريف الأمثال: ٥٥
تصريف الأمثال ومُضي المثل: ٥٦
بين المثل والحكمة: ٥٧
القرآن الحكيم وبناء الحكمة ٥٨
حكاية المثل، وغرابته: ٦٠

أنواع الأمثال ٦٢
الأمثال الصريحة والكامنة ٦٢
١- الأمثال الصريحة: ٦٢
٢- الأمثال الكامنة: ٦٣
(المثل المرسل) أو ما يجري مجرى المثل: ٦٤
الأمثال القصصية في القرآن الكريم ٦٧
(مقاصد أمثال القرآن) ٦٨
أولاً: دور المثل كجزء من الحقيقة في الإحتجاج ٦٩
ثانياً: دور المثل في الإرشاد للحقائق الكبرى ٧٠
ثالثاً: دور الأمثال في تجسيد القيم ٧٢
رابعاً: دور الأمثال في مقارعة الثقافة الباطلة وعلاج المجتمع ٧٣
خامساً: دور الأمثال في معادلة التفكير السليم ٧٥
سادساً: دور الأمثال في واقعية التشريع وصحة المنهج: ٧٧
(كيف نفهم أمثال القرآن؟) ٧٨
١- معرفة مضرب المثل (سبب النزول) ٧٩
٢- الإنتقال من فلسفة القصة إلى فلسفة المثل ٨٠

الفصل الخامس

(نماذج من الامثال القرآنية في تفسير من هدى القرآن)

١- الدورات الطبيعية وعملية التفكير السليم ٨٣
٢- التحولات الطبيعية والأمن الإلهي..... ٨٥
٣- الأسسة الباطلة للحضارة (بيت العنكبوت) ٩٠
٤- الطاغوت لا قوة له إلا في النفوس المريضة ٩١
٥- منهج القرآن بين العلم والأخلاق ٩٣